الإنطلاق من معرفة الخطية

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنوده الثالث

ان تحدثنا عن انطلاق الروح , فلعله يقف امامنا هذا السؤال :

من أى شئ تنطلق الروح ؟

ونجيب بأن الروح وهى على الأرض , تجاهد لكى تنطلق من اشياء كثيرة .

غير أن هناك شيئا آخر مهما حاولت الروح أن تنطلق منه على الأرض , فلا أظن أنها تستطيع ! ... ربما الانطلاق منه هو احدى المتع التى ننالها فى الأبدية ... فما هو هذا الشئ ؟ انه :

الإنطلاق من معرفة الخطية

عندما خلق الله الانسان الأول , خلقه بسيطا نقيا لا يعرف خطية على الاطلاق , و لا تفاصيل الخطايا , و لا اسماءها ... كان كذلك , قبل أن يأكل من شجرة معرفة الخير و الشر ... كان فى براءة الأطفال , و ربما أكثر ...

و لذلك حينما اغريت حواء من الحية , ما كانت تعرف ... كذبت عليها الحية و قالت " لن تموتا " ... و قالت " تصيران كالله ... " (تك ٣ : ٥) . و حواء ما كانت تعرف ان هناك شيئا اسمه الكذب ... و ما كانت تشك فى صدق الحية , لأنها ما كانت تعرف الشك ...

كان آدم و حواء لا يعرفان سوى الخير فقط . أما الشر , فما كان يعرفانه ... و لكنهما لما أكلا من الشجر دخلتهما معرفته . دخلت الى الانسان معرفة جديدة , هى معرفة الخطية .

بل معارف اخرى عديدة , عكرت صفو النقاوة الطبيعية الأولى , ينطبق عليها قول الحكيم " الذى يزيد علما , يزيد حزنا " (جا ١ : ١٨) .

و لعل أول شئ عرفه آدم , أنه رجل و أن حواء امراءة , و بدأت معرفة الجنس تدخل الى ذهنه , ثم الى مشاعره . و عرف أن هذا شئ يخجل منه , فبدأ يغطى نفسه .

ثم عرف الخوف , فبدأ يختبئ وراء الاشجار ... و بمرور الوقت بدأ الانسان يعرف خطايا عديدة جدا ...

و اصبحت هذه المعرفة راسخة فى ذهنه , تثير عليه حروبا روحية فى بعض الأوقات . و ان لم يقع فى هذه الخطايا , قد يقع فى ادانة غيره عليها ... و اصبح الانسان يعيش فى ثنائية الخير و الشر , الحلال و الحرام ...

فمتى يتخلص من هذه الثنائية ؟ و متى يرجع الى نقاوته ؟ و متى تزول من ذهنه معرفة الشر ... سواء أ كانت وصلت اليه عن طريق العقل , أو عن طريق الخبرة و الممارسة ؟ متى يتخلص من " تذكار الشر الملبس الموت " ؟ ...

لا أظن ذلك يحدث على الأرض اطلاقا , انما يحدث فى الأبدية , حسبما قال القديس بولس الرسول , حينما كان " يسكب سكيبا , و وقت انحلاله قد حضر " ... قال لتلميذه تيموثاوس : " و أخيرا قد وضع لى اكليل البر ... " (٢ تى ٤ : ٨) .

اخيرا سيتكلل الانسان بالبر ... البر الذى لا يعمل خطية , و البر الذى لا يعرف خطية ... يتكلل بالقداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب ... و لكن متى ؟ يجيب الرسول مكملا حديثه عن اكليل البر " الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل . و ليس لى فقط , بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا " ...

اكليل البر هذا , هو الشهوة التى تنطلق اليها الروح ... أما على الأرض , فاننا فى كل يوم نخطئ , و فى كل يوم نحتاج الى توبة . و لا يوجد انسان بلا خطية , و لو كانت حياته يوما واحدا على الأرض ...

متى ننطلق حقا من معرفة الخطية ؟ و لا نعرف الا الله وحده , و ما يحيط به من نور , ليست فيه ظلمة البتة ... سيكون ذلك حينما نلفظ ثمرة معرفة الخير و الشر التى أكلها أبوانا فى ذلك الزمان . و حينئذ نعود الى رتبتنا الأولى ...

بل اننا فى الأبدية , سنكون فى حالة أفضل من حالة آدم فى الفردوس . فآدم و حواء كانا فى حالة بر , مع امكانية السقوط . أما فى الابدية فسوف نتكلل بالبر , البر الذى لا توجد فيه أية امكانية للسقوط .

فان كنا سنصير فى حالة افضل من حالة الانسان الأول قبل السقوط , فعلى الأقل سنشابهه فى البراءة و النقاوة و البساطة و عدم معرفة الخطية .

سننسى الخطية بكل صورها و كل تفاصيلها و كل ذكرياتها , و لا تبقى فى اذهاننا الا ايجابية الحياة الروحية , فى محبة الله , و التأمل فى صفاته الجميلة , و التأمل فى السماويات , و ما لم تره عين ' أو تسمع به اذن , أو يخطر على قلب بشر .

بهذا تكون الروح قد وصلت الى قمة انطلاقها , أما هنا على الأرض , فأقصى ما تصل اليه الروح , هو الانطلاق من سيطرة الخطية و المادة و الجسد , لكى تحيا طليقة " تعتق من عبودية الفساد , الى حرية مجد أولاد الله " (رو ٨ : ٢١) .

هل شعرت ان روحك وصلت الى هذه الحرية ؟ هذه الحرية هى انطلاق الروح ... انطلاقها من كل قيد يعوق وصولها الى الله ...